الحقائق دعائم العقل

يهدف هذا الفصل إلى إبراز أهمية الحقائق فى تشكيل العقل السليم. فالحقائق من خلق وتدبير العليم الخبير وتنتسب لاسمه - الحق ، جل شأنه - وهى أساسات الفكر السليم وهيكل العقل القويم. ويستحيل أن تتعارض الحقائق ؛ لأنها من مصدر واحد عليم حكيم ، هو خالق هذا الكون البديع المنسَّق فى خشوع وإحكام وجلال. من الممكن أن تتعارض بعض مكونات الواقع ؛ لأنها تشتمل على الحق وعلى الباطل ، أما الحقيقة فحق محض ولا تتعارض أجزاء الحق ، وحين يبرز أى تعارض - بين الأشياء - فيكون ذلك بسبب ظلام الجهل وتسلل الباطل وسوء الفهم. والحقيقة يصعب صياغتها بلغاتنا ورموزنا ، فلغاتنا بجانب لغات الحقيقة تشبه إشارات الأخرس.

ويخطىء البعض فيتصور أن الواقع بسيئاته وباطله هو الحقيقة! لكن الواقع هو أساسا حقيقة سامية لوثها الباطل ، وبالتفكر والتمييز يتضح الأمر. والفكر الذى يبنى على غير الحقائق هو وهم ولا محالة زائل ؛ لأنه باطل وسقيم. وأساس قبح وحقارة الكذب أنه ضد الحقيقة ، وبوجهه الصفيق يحاول اعتراض طريق النور ، ولا يحدث ذلك إلا بسبب قصور - أو حالة مرضية - فى العقل. فالحقيقة هى ضالة العقل السوى ، وفى كنفها تأنس وتسعد النفوس المطمئنة.

ويقول الشيخ محمد الغزالى – رحمة الله عليه : "لا أعرف مظلوما تواطأ الناس على هضمه ، وزهدوا فى إنصافه كالحقيقة! ما أقل عارفيها. إن الأوهام والظنون هى التى تمرح فى جنبات الأرض ، وتغدو وتروح بين الألوف المؤلفة من الناس".

إدراك الحقائق

والحقائق أرسخ من الجبال ، لكن إحساس الإنسان بالحقائق أو مدى إدراكه لها وتمسكه بها يتأثر كثيرا بضعف أو قوة بصيرته ومدى دقة إحساسه. فالأعمى لا يشعر بالحقائق التى يمثلها النور مهما وُصفت له ، كما أن ضعيف السمع لا يميز شدة الصوت ولا يستجيب للإشارات الصوتية الضعيفة. والسرعة فى شعور الشخص المتحرك غيرها فى حس الإنسان الساكن ، ونتيجة لذلك تأتى الاستجابة لتلك الإشارات غير متناسبة مع حقيقتها ، وهذا نوع من الخطأ غير المقصود لكنه يحدث وتترتب عليه نتائج سلبية. فمن لم يتعامل مع النار كيف يشعر بمدى خطورتها! إن مدى إدراكه لها يتناسب مع ما وصله عنها من وصف أو ما شاهد عن بعد. وليس انطباع من رأى النار كمن اكتوى بها ، وإحساس الفران تجاه النار يختلف عن إحساس من يوقد الشمعة. كل هذه الانطباعات عن النار ، رغم أن حقيقتها **وشجرتها** واحدة ، لكن إدراكها أو الإحساس بها وبالتالى التصرف تجاهها يختلف من شخص لآخر.

الحقائق كمعظم الأشياء لها شق مادى وصفى وهو الأدنى والأفنى ، وآخر خفى معنوى وهو الأعلى والأبقى. الشق المادى من الحقيقة يُدرك بالحواس وبالتشريح ، والشق المعنوى من الحقيقة يدرك بالتفكير وجمع المعلومات ووزنها وتحليلها والتفكير فيما وراءها. وبكلا الشقين تكون الحقيقة فى البداية غير واضحة ، ولكن بعد بذل الجهد العقلى – فى كليهما -- يأتى هدى الله وفضله فينجلى من الحقيقة ما ينجلى. وذلك معنى التبيين أو التوضيح ؛ فلو كانت الحقائق واضحة منذ البداية ما احتاجت إلى بيان أو توضيح.

والباحث عن الحقيقة حين يقدم على عمله مخلصا يبدأ بالتفكر فيفتح الله له طرقا شتى ، ومحصلة ما يحصل عليه من تلك الطرق هو ما يسمى بالإنتاج العلمى البشرى وهو فى الحقيقة فتح موقوت من الفتاح العليم ، لمن يوظف عقله ويوقن بقيمته كنعمة عظمى يفتح بها كل أبواب الخير ويغلق بها أبواب الشر. وهنا يجدر الإشارة إلى أن إضافة المستخلصات العلمية (الوصفية) بعضها إلى البعض ينتج مجموعا أقل ثراء من الحقيقة المتكاملة الفريدة البناء.

الحقيقة تبدو مغلفة بطبقات لا نهائية من المعلومات ، وكلما عرفنا معلومة يتضح أن خلفها معلومات فى سلسلة لا نعرف لها نهاية. والجهل بهذه المعلومات يمثل حُجبا تخفى أنوار الحقيقة. وحين يقال إن "العلم نور" فالأساس هو نور الحقيقة الذى يتجلى بالعلم ويحجب بالجهل. والحقيقة المطلقة الكبرى فى الكون هى الله ومنه يستمد النور كله: ﴿**اللهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرَضِ** ...﴾ الآية

35 – سورة النور. وذلك النور العقلى يختلف عن الضوء المألوف ، فنور العقل يُحجب بسبب تبلد الحس الناتج عن شدة التعلق بالمادة والتدهور الأخلاقى الذى يسبب ثخانة المخ وتغليظ أقفال العقل المادى. فالحس البليد يحتاج لصفع المادة كى يفيق – ثم لا يلبث أن يغط فى سبات عميق – وتلك خاصية حيوانية ؛ حيث أن الضرب هو أجدى وسائل تطويع الحيوان. أما القيم الأخلاقية فتنمى الإحساس بالمعانى وترقيق العقل وشفافية النفس.

وحين نذكر لفظ الحقيقة أو الحقائق فنقصد ما يتيسر لنا إدراكه منها ، فالإدراك الكامل للحقائق مستحيل ؛ لأنه متصل بأصولها الكبرى والبعيدة والتى تتصل فى عالم الغيب بالخالق جل وعلا. وهذه ليست دعوة لليأس لكنها لبنة ضرورية فى علم الحقائق تضع الإنسان قرب حجمه الحقيقى ؛ حتى يتمكن من تصور ترتيب شبه صحيح للأمور والحقائق ، ويتقدم هذا الترتيب مع تراكم العلوم الصحيحة. فبالسعى للمعلومات الموثوقة نلمس أطراف الحقائق ونتحرك خطوة خطوة على أفرعها فنجد أنها تتلاقى فى الأصول المرحلية المتصلة بأصول أعمق. وقد جرت العادة على تسمية الحقائق التى تبلورت بالعلم (التجريبى) بالحقائق العلمية وتلك تسمية مجازية تمييزا لها عن الحقائق الفعلية التى لم يتوصل العلم البشرى إلى قول محدد بشأن ماهيتها ، كالروح والجن والسموات السبع مثلا.

ويمكن تصور أن إدراكنا الإيجابى لنور الحقيقة يتناسب طرديا مع معلوماتنا الصحيحة والمتكاملة عنها ، وإدراكنا السلبى يتناسب مع معلوماتنا الخاطئة عنها

، والجهل (السطحى) يقع فيما بين الحالتين. وربما يجوز تمثيل ذلك كما فى شكل (1). وعلى هذا الشكل يمكن تصور سهولة تعليم الجاهل السطحى بموضوع معين. وواضح أن معدل الإدراك يكون بطيئا فى البداية – قرب نقطة الصفر – ثم تتساند المعلومات لتنشيط العقل ودعم الإدراك بعد ذلك.

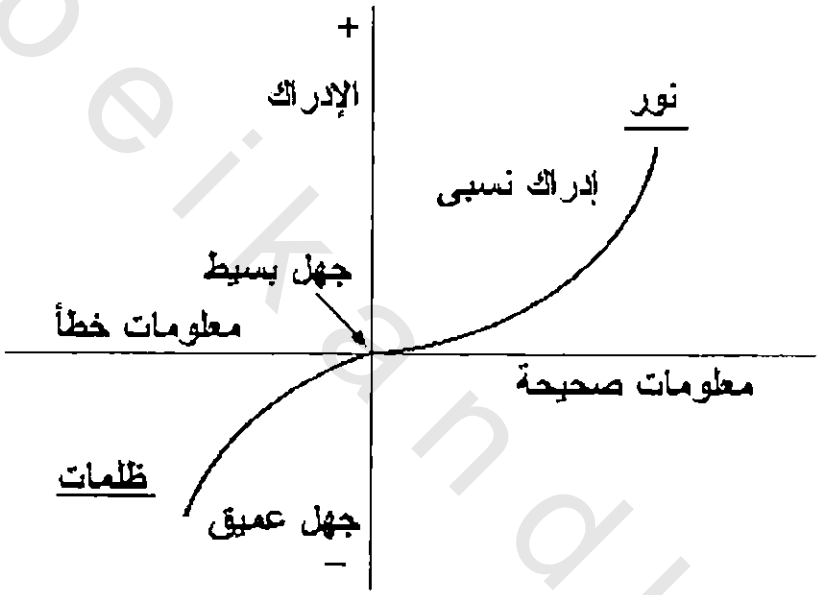

شكل (1). تمثيل الجهل والإدراك.

أما حالة الفرد المشبع بمعلومات خاطئة – حول موضوع ما – أى حالة الجهل العميق فتحتاج أولا لكشف مدى زيف تلك المعلومات (الجهالات) وإزالة آثارها قبل البدء فى تقديم المعلومات الصحيحة التى ترتكز على الحقائق ، ويمكن تمثيل ذلك بالتحرك على المنحنى من أسفل إلى أعلى. ومعالجة مثل هذه

الحالة أصعب من معالجة حالة الجهل السطحى (الأمية). وجدير بالذكر أن عكس ذلك ممكن ، وهو ما يسمى - معكوسا فى الغالب - "بعملية غسل المخ" ، أى طرد ما به من معلومات صحيحة ليحل محلها (أو يسكن إلى جوارها) معلومات خاطئة مغرضة ، أو العكس أحيانا. وذلك يحتاج لتحايلات للتشكيك فى المعلومات الصحيحة بخلطها بالشوائب ثم تزيين المعلومات الخاطئة بخلطها بكسور الحقائق وأنصاف المعلومات.

وجدير بالذكر أنه يوجد تعريف آخر للجهل بأنه العلم السلبى (الخطأ) ، أما عدم العلم فيسمى "أمية" بخصوص شىء ما ، أى حالة اللاعلم (الجهل السطحى) وهى أخف ضررا من الجهل العميق المبنى على معلومات خاطئة. وعلى أى حال فيمكن التغلب على مسألة التعريف هذه باعتبار الجهل درجات كما هو ممثل فى النصف الأيسر من شكل (1).

عدد الحقائق الفرعية - فى الوجود - يفوق الحصر وكيفية تداخلاتها وعلاقاتها شديدة التنوع ، والإدراك المطلق للحقائق يحتاج لقدر هائل من العلم وذلك غير متيسر للإنسان ؛ لأنه محدود العلم ، وتلك حقيقة لا تحتاج إلى تأكيد ويسلم بها الكل حتى الملاحدة ورواد العلوم الوصفية حين يشعرون بعجزهم ، أما المؤمن فيسلم بها ويبنى عليها ﴿... **وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلا قَلِيلاً**﴾ - الآية 85 - سورة الإسراء. ومعنى هذه الآية الكريمة يزداد سطوعا كلما تقدم العلم وتكشف الجهل.

إذن فإدراك الناس – عموما – للحقائق يكون جزئيا من حيث الكم ونسبيا من حيث الكيف ، وإجمالا ففى الغالب يكون الإدراك مشوها ، وهذا ابتلاء لا تنكشف غمته إلا بنور الإيمان. وإدراك ما يتيسر من الحقائق يكون دائما فى صالح الخير ودعما له ؛ لأن الحقائق من خلق وتدبير الله ، **والله خير** ولا يأتى إلا بخير – هذا لمن يعقل.

الوهم

الوهم ابن الباطل ويقابل الحقيقة إلا أنه لا يدل على شىء ذى حقيقة ، فالوهم شىء فارغ ، أو فراغ معلق فى لاشىء ، ولا يوصل إلا للضياع ، بل إن الوهم ذاته – إن كان له ذات – لا يمكن أن يبنى عليه إلا الخرافات وحِزم الأكاذيب ، فبئس البناء والبانى والمبنى عليه. لذلك لا يمكن للوهم أن يستقر أو تتميز له معالم ، إنه هلامى الشكل سرابى المادة أخطبوطى الحركات ، يتبخر حين يواجه قوة ونور الحقيقة. وعندئذ يشعر صاحب الوهم أن شيئا أو جزءا من كيانه (عقله) يتحطم أو ينسحب أو يتبخر ، ويشعر وكأنه يولد من جديد فى عالم مختلف يحتاج لحسابات جديدة ولمسار جديد. فالعقل السوى عدو الوهم والخرافة والأسطورة وما شابه ذلك من الأكاذيب.

العقل الفطرى يرفض الوهم والباطل ، وحين يتلقاهما فى الصغر ينشأ فى حالة ريب وخوف وجبن يتردد فيها ، ويتقلب من شك إلى حيرة إلى قلق ، ويمكن

أن يُرى ذلك فى وجهه مهما حاول الإخفاء ، أو تعاطَى من المُغيبات ، لا تطمئن نفسه أبدا حتى يَمن الله عليه بالهداية ، فيلفظ الأوهام والأباطيل.

للوهم تأثير تخديرى يجعل من يعيش فيه غافلا عن الحقائق ، لا يشعر بها إلا حين تصدمه الوقائع. وكم فى العقول البائسة من أوهام لا يسترها إلا إلف الجهل وسواد ظلمات الباطل. الوهم من إنتاج الشياطين وفيه صناعة وتجارة وترويج وذلك من صميم حرفهم. ولا يتقبل الوهم إلا ناقص العقل والضال والسفيه والمغضوب عليهم ومن على شاكلتهم.

الوهم كنتاج للجهل وصناعة الإفك يساعد على تنمية مناخ التخلف والشر ، بعضهم من بعض. والوهم المحض يكون فى الفكر فقط وليس فى الواقع - لأن الوهم لا حقيقة له ولا واقع - ومقره فى العقل الفارغ والمريض والتافه ، أما الواقع الذى يعيشه أغلب الناس فخليط من الحقائق والأباطيل.

وجدير بالذكر أن الخيال يختلف عن الوهم ، ولا يقترب من الوهم إلا الخيال المريض ؛ لاشتراكهما فى الأكاذيب والمعلومات والتصورات الخاطئة. أما الخيال الرشيد فيتعامل مع الحقائق والوقائع ويبحث عن الغائب منها ويحاول أن يتلمس العلاقات الصحيحة بين الأشياء ومسبباتها ومسببات مسبباتها ، ويستنتج ويراجع استنتاجاته فيصل بسعادة غامرة إلى الله - أصل كل الحقائق سبحانه

وتعالى. والخيال مطلوب للإبداع وتوليد الفكر والمعانى السامية التى تدور حول الحقائق.

صحة العلم بالحقيقة

الصحة عكس المرض ، ولفظ "صحيح" يقابل لفظ مريض أو كسير ، و"كامل" يقابل "ناقص". وتطبيق مثل هذه المفاهيم على المعلومة وعلاقتها بالحقيقة يفتح أبوابا للتأمل ، فمعلوماتنا عن حقيقة الشيء – إن صحت – فهى جزئية وبالتالى فنحن ندرك كسورا من الحقائق كما ذكرنا من قبل. إذن عِلمنا بالحقيقة غير مكتمل الصحة ، وهذا لا يقلل من قيمة ما نعلم بل يدعونا للسعى وطلب المزيد من الصحة بشوق وتواضع وخشوع. ومن أمثلة فتات العلم أو أجزاء المعلومات ما يسمى بالواقع التجريبى أو الوقائع التى نتوصل إليها بالتفكير والملاحظة ، مثل :

- لا يمكن أن يحيا الإنسان بدون ماء.
- الماء يمثل ما يقرب من ثلثى وزن الإنسان الحى.
- بدون الماء يجف النبات ويموت.
- لايمكن أن تعيش الأسماك بدون الماء.
- الماء نسبته كذا فى جسم الطيور.

كل من هذه المعلومات الجزئية وأمثالها تمثل واقعا تجريبيا علميا ملموسا وأحيانا مقاسا ، والتوصل إليه وتحصيله هو وأمثاله يحتاج لوقت وجهد - وهو فريضة - وفى نفس الوقت فهذه المعلومات العديدة (الفتات) أو جزئيات الحقيقة وأنصاف المعلومات يشملها جميعا (يربطها ببعضها) الحقيقة النورانية المتكاملة التى تدوى بين الأرض والسماء - منذ القدم - شاهدة بصدق ودقة التبليغ ، وملوحة بعظمة الإرادة المطلقة التى هى أم الأسباب ومصدر الحقائق : ﴿.... **وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَآءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ، أَفَلا يُؤْمِنُونَ**﴾ - الآية 30 - سورة الأنبياء. آية منزلة من مصدر النور ، بدون الحاجة إلى تجارب أو أبحاث أو مختبرات أو تحليلات .... إلخ. تلك معلومة شاملة المغانى كاملة الصحة تلخص حقيقة كونية أساسية ، وعلى العاقل أن يبنى عليها أوثق البنيان. أما حين تكون معلوماتنا عن الشىء مغلوطة أو منفوخة أو مبتورة - وما أكثر ذلك - فيجب الحذر كل الحذر.

ترتيب الحقائق

الحقائق فى هذه الدنيا عديدة ، بل تفوق الحصر ، لكنها أبدا لا تتناقض بل هى دوما تتكامل وتتناغم وتتلاقى فى اتجاه الحقيقة المركزية الكبرى ، وحين يبدو أدنى تناقض بين بعض أجزاء حقيقة ما فيجب أن نتوقف لنبحث عن الخطأ فى فهمنا نحن لنصححه ؛ لأن أجزاء الحقيقة لا يمكن أن تتناقض. نعم الحقيقة تتشعب أبعادها ، وأوجهها تتعدد وتتقابل ، لكن أجزاءها لا تتناقض. على هذا الأساس يمكن أن نصحح أفكارنا بتخليصها من المتناقضات وهذا دور العقل ؛

لأن أجزاء الفكرة السليمة لا تتناقض. فالتناقض مكلف ومدعاة للصدام والتدمير المادى والمعنوى. والتناقض - بمختلف أشكاله - يسبب الحيرة ويرهق النفس ويضر بسلامتها ، والملك الحق المبين أنزل فى ذلك تحذيرا شديدا : ﴿كَبُرَ مَقْتاً عِندَ اللهِ أَن تَقُولُوا مَا لا تَفْعَلُونَ﴾ - الآية 3 - سورة الصف.

والحقائق متنوعة ومتباينة الثقل ، أو قل نسبية التأثير فى النفوس. وحسب ما عهدنا وألفنا فى الوجود من حولنا ، لاحظنا أن الشىء يشغل حيزا من الفراغ ، ومجموعة الأشياء تشغل حيزا مشتركا بنوع ما من الترتيب فى حالة الاستقرار. وبدون ترتيب جيد ندخل فى حالة ارتباك وعدم استقرار. وفى حالة عدم الاستقرار تلك يتعذر تبين حقيقة الصورة ، فمن البديهى أنه يتعذر تشييد بناء سليم على أساس غير مستقر. والحق يميل إلى الاستقرار ويعين عليه ؛ لوثوقه فى جماله وروعته ، ولكن الباطل يأبى الاستقرار ولا يستطيعه ؛ حتى لا تنكشف سوأته ، ولذلك يلجأ أهل الباطل دوما لتعكير الجو وإحداث البلبلة كى لا تتضح الحقيقة التى تعرى باطلهم.

لنعد لحالة الاستقرار وهى الحالة المنشودة ، فسلامة العقل رهن بحسن ترتيب الحقائق المستقرة فيه. ولذلك نرحب بالحقائق الناصعة ونحاول أن نفسح لها أرفع مكان فى المساحة المتاحة بعقلنا. وبمناسبة المساحة العقلية ، فنذكّر بأنها نعمة واسعة - من الله ، ذى الجلال والإكرام - لدرجة أن تسع الله ، بأن تعى وتعقل عن الله. هناك إذن عقل ضيق وعقل واسع وعقل بالغ الاتساع لدرجة

أن يسع ما يتيسر من معنى الألوهية. وكم سمعنا من يقول لأخيه "وسع عقلك" ، أو "كن واسع العقل" ، أو "فتح مخك" ؛ ليحسن الاستقبال. وتلك التوسعة المطلوبة مستحيلة فى مادة المخ لكنها ممكنة فى عمق العقل بمزيد من حسن تنظيم المعلومات الصحيحة.

والإدراك المطلق "لشجرة الحقائق" لا يعلمه إلا الله ، أما الإنسان فيدرك من الحقائق ما يتناسب مع علمه واستعداد عقله. وكم بين الرسل أن الله هو الحق المبين وهو الحقيقة العظمى - جل شأنه - بل هوخالق كل الحقائق ، ومع ذلك يوجد من ينكر حقيقة وجود مدبر لهذا الكون - الله جل شأنه! - غرورا بما عرف الإنسان من فتات العلوم المادية (الحِرَفية) ، أو بما ألقى الشيطان فى نفسه ، فبأى حقيقة سيعترف بعد ذلك؟!

ما قيمة وحال العقل الذى ينكر الحقيقة الكبرى!! كيف يستقيم فكره إن لم يستقر على الحقائق الراسخات! وهذا الصنف من العقول البائسة تجد له أتباعا وأشباه أتباع بالملايين - ولا حول ولا قوة إلا بالله - **نسوا الله فأنساهم أنفسهم**. تجد كثيرا من الناس يُرزقون ولا يخطر ببالهم أن يشكروا من رزق ، فمن سيشكرون بعد ذلك؟! يذنبون ولا يشعرون بالحياء ممن أمهلهم وهو قادر عليهم ، فممن سيستحون إذن! وأى خير يرجى من ورائهم. وما أروع قول خاتم المرسلين - صلى الله عليه وسلم - فى الحديث الذى رواه مسلم وغيره ، عن أبى هريرة رضى الله عنه : "... *و الحياء شعبة من شعب الإيمان*". والمصيبة

الكبرى هى الجهل العميق بالحقيقة الكبرى ، وتتوالى وتتنوع بعد ذلك الجهالات بكبريات الحقائق.

ومن الناس من يسلمون بوجود الله ، لكن **ما قدروا الله حق قدره** ، وتصوروه فى صور ومنازل ومواقف لا تليق بقدره - عز وجل. وفى ذلك يوجد خلل ربما جاز أن نسميه "إدراك حزء الحقيقة" والغفلة عن معظمها ، أو قل الجهل النسبى بها. وعلميا لا يمكن تشييد بناء بالفتات ، لا بد من ربط الحبيبات ببعضها لتكون كتلة متماسكة يشد بعضها بعضا ، والكتلة الكبيرة يصعب أن تستقر أو تستريح على الكتلة الصغيرة ، لكن العكس هو الصحيح. فالحقائق الكبرى أصول عريقة والحقائق الصغرى فروع حديثة ، وصحة الفروع رهن بصحة الأصول. وأصول الحقائق موجودة منذ الأزل ، ولكننا تعجز عن إدراك معظمها ؛ بسبب شدة عظمتها وقلة علمنا ، وما يستجد من الحقائق هو أطرافها كأوراق الشجر وأزهارها وأشواكها التى تتنوع وتنمو ثم تتساقط وتتجدد لكن الأسس تبقى. وعلاقة حقيقة ما بأفرعها تجدها بديعة التنيسق رائعة التنظيم والائتلاف.

الموت حق وحقيقة ثقيلة لا ينكرها عاقل ، وأسبابه كامنة فينا وحولنا ، وما وراء هذه الحقيقة أثقل منها ، وكل أهل الدنيا لا يملكون إزاءها حيلة ولا وسيلة ، ولكن كم نسبة البشر الذين يقدرون هذه الحقيقة حق قدرها ويستعدون لها

ولم يتفرع حولها من حقائق ، ولم يأتى بعدها؟ لو وضعوها نصب أعينهم لاستقامت رؤيتهم. اللهم إنى أرجوك لذلك اليوم.

إنكار الحقائق يمكن أن يحدث بسبب خلل فى العقل ، خلل علمى (معنوى) وليس عضويا ، والجهل يمكن تصنيفه تحت هذا النوع من الخلل. فالعاقل لا يقبل ولا يرفض إلا عن علم أو ببينة ، أما الرفض الجاهز لكل ما هو مجهول ، والرفض الموروث ، وما شابه ذلك فيعتبر خللا أو قصوراعقليا (أو فكريا) لا يستند إلى علم أو فهم ، وماذا بعد العلم غير الجهل! والخلل الفكرى دليل على الضعف النفسى المتمثل فى شدة الخوف من المجهول ورفضه خوفا مما وراءه. حدث ذلك مع كل رسالات السماء من عَهد نوح إلى عهد محمد - عليهما الصلاة والسلام - الحقائق الناصعة البياض قوبلت بالرفض والرفض العنيف ، رفض عن جهل وراثى عميق لا عن علم سليم ، بل إصرار على ما هم فيه من ضلالات ومفتريات لا برهان عليها ، فهل يصح أن نعتبر هذه العقول سليمة حتى ولو اخترعت ما اخترعت! الخاسرونَ فى النهاية هم أصحاب هذه العقول المغلقة والمختلة وذوو النفوس المريضة ، ويقول الحق فيهم: ﴿**أُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُواْ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ**﴾ الآية - 21 - سورة هود. فأى مصيبة أشد من خسارة النفس؟!

فى محاولتنا لتصور ترتيب جيد للحقائق وما يُشكل العقل ، نقر بأن ترتيبنا عرضة للخطأ ولذلك سنحاول الإيجاز ؛ لتقليل فرصة الخطأ ، وبقدر صدق

التجائنا للعليم الخبير نرجو أن يعيننا على تفادى الخطأ. وفيما يلى نذكر اجتهادنا فى هذا الترتيب - بتقسيم عريض - كالتالى:

1- حقائق ذكرت فى نصوص منسوبة لعلام الغيوب ومحفوظة بلا أدنى تحريف أو إعادة ترتيب أو أخطاء ترجمة أو ضعف ذاكرة أو تأويل أو خلط بهوى. أمثال هذه الحقائق هى كل ما تضمنه كتاب الله ومنها : **اللهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ - قُل هُوَ اللهُ أَحَدٌ - كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ الْمَوْتِ - مُحَمَّدٌ رَّسُولُ اللهِ - فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ، وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ.** والآيات الكريمات المعجزات بالآلاف ، وهى من العلم الإلهى وتمثل الكنز الأعظم والنعمة التامة وخير ما عمر الصحف ؛ لإنارة العقل بالحقائق الناصعة على طريق الفوز المبين. ومن ينكر هذه النعمة فتشخيص حالته - فى تصورنا - أنه فى الربع السفلى الشمال من شكل (1) ، وإذا شك فى ذلك فمن مصلحته أن يحتاط ويتأكد من موقفه ففى التأكد سلامة وفرصة للنجاة ، إن كان مصير نفسه يهمه!

2- معلومات نسبت للرسل و لأنبياء - صلوات الله عليهم أجمعين - بروايات متباينة الدقة والاتفاق والترتيب ومتانة السند ، نأخذ منها ما نطمئن لصحته وحسنه بما لا يتعارض مع الآيات الكريمات.

3- معلومات هدى الله إليها بعض من كرس وقته للبحث العلمى والتدقيق ، وهى خليط أكثره صواب ونافع وقليله غير ذلك.

4- مخاليط من فتات علوم وركام وخرافات وأوهام وأكاذيب وافتراءات وأحقاد وأهواء وتعصبات وتلفيقات وكناسات ..... إلى آخر أصناف البضاعة التى نعتذر للقارىء عن عدم ذكر أمثلة لها ، وما أوفر هذا الصنف!

وفى ترتيب الحقائق نجد صعوبة تتمثل فى غياب المقياس المتفق عليه بين العقول المتنوعة. فقد نلم بفتات حقيقة ما – أنت وأنا – ولكن إدراك كل منا لتلك الحقيقة يختلف حسب كم ونوع الفتات ومعانيه عند كل منا ، لذلك تختلف صورتها وبالتالى أهميتها عندى وعندك. وهذا أحد أسباب الاختلاف الذى يصل أقصى مداه حينما يكون أحدنا مدركا لتلك الحقيقة والآخر يجهلها (الأمى) أويتصور عكسها ، أو مُلقن بضدها (الجهل العميق). وهنا يمكن أن نفسر تقارب أفكار من خضعوا معا لبرامج تلقين موحدة لفترات طويلة ، حيث تزيد مساحة الاتفاق بينهم ، وفى المقابل نجد تباين هؤلاء مع أولئك الذين تلقوا برامج تلقين مغايرة. غالبا ما يصعب التوفيق بين هؤلاء وأولئك ؛ لأن كلا منهما ركز على جوانب ورموز يجهلها الآخر ويرفضها ، وأصبح كل فريق متمسكا برؤيته التى تشكلت ببرامج التلقين – دون أن يشعر. كل فريق يعظم الأسس التى زُينت له فى برامج التلقين وقد شغلت حيزا فى ذاكرته وأحدثت

آثارا يصعب محوها إلا بهزة عنيفة. وكما يقول ربنا عز وجل : ﴿كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ الآية 53 - سورة المؤمنون.

وبرامج التلقين تعطى على هيئة حزم من المعلومات يحاول من رتبها أن يُكون من كل حزمة خلاصة معينة لا يشترط أن تعبر عن حقيقة صادقة. ومن مجموعة الحزم يمكن تكوين صورة أشمل للتعبير عن توجه أوسع بغض النظر عن الحقيقة ، وهذا أسلوب تركيبى معروف عند مخططى ومحترفى تشكيل العقول. وقلما يهتم الناس بالحقائق الخالصة ، إنما تهتم الغالبية العظمى بالفتات وأشباه الحقائق التى تؤيد فكرها ووجهة نظرها وظاهر مصالحها العاجلة ، وتنفر من الحقائق التى تناقض توجهاتها وما سبق أن ترسب وترسخ فى عقولها. فما يتفق مع الهوى يتم الترحيب الاحتفال به ، أما ما يتعارض معه فيحاول الناس مقاومته والتفنن فى مراوغته ، فأين موقع الحقيقة من هذا الحال!